بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسرة خريجي الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
مركز البابا كيرلس عمود الدين للدراسات اللاهوتية

باسم الثالوث القدوس

كورس اللاهوت الرعوي

اليوم الثاني - المحاضرة الرابعة

الخادم والخدمة الفردية – ابونا أنطونيوس فهمي

نقرأ معًا جزء من سفر حزقيال النبي إصحاح ٣٤ من عدد ١٢ بركته على جميعنا آمين.
"كَمَا يَفْتَقِدُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ يَوْمَ يَكُونُ فِي وَسْطِ غَنَمِهِ الْمُشَتَّتَةِ، هكَذَا أَفْتَقِدُ غَنَمِي وَأُخَلِّصُهَا مِنْ جَمِيعِ الأَمَاكِنِ الَّتِي تَشَتَّتَتْ إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْغَيْمِ وَالضَّبَابِ. وَأُخْرِجُهَا مِنَ الشُّعُوبِ وَأَجْمَعُهَا مِنَ الأَرَاضِي، وَآتِي بِهَا إِلَى أَرْضِهَا وَأَرْعَاهَا عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ وَفِي الأَوْدِيَةِ وَفِي جَمِيعِ مَسَاكِنِ الأَرْضِ. أَرْعَاهَا فِي مَرْعًى جَيِّدٍ، وَيَكُونُ مَرَاحُهَا عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الْعَالِيَةِ .هُنَالِكَ تَرْبُضُ فِي مَرَاحٍ حَسَنٍ، وَفِي مَرْعًى دَسِمٍ يَرْعَوْنَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ .أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، وَأَرْعَاهَا بِعَدْلٍ" (حز٣٤: ١٢- ١٦)
مجدًا للثالوث الأقدس.

بنعمة ربنا سنتكلم قليلاً عن ثلاث نقاط:-

١. قيمة النفس الواحدة، قيمة النفس البشرية في عين الله، وهذا يُترجم لنا في خدمتنا.
٢. خدمة ربنا يسوع المسيح، وخدمته الفردية وسط المجموعات الكبيرة التي كان يخدمها.
٣. تطبيق عملي عن خدمتنا الواقعية.

أولاً: قيمة النفس في عين الله:

كم كونها غالية وكريمة جدًا، لأن الله عمل الخليقة كلها وفي النهاية عمل الإنسان وأقامه عليها، فالإنسان هو رأس الخليقة ونستطيع القول بأنه تاج الخليقة، وكاهن الخليقة. وعندما يتكلم معلمنا بولس الرسول ويقول: "بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّلْتَهُ، وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ، أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ" (عب٢: ٧، ٨).
لا يوجد مخلوق مكرم مثل الإنسان، في الخليقة كلها لا يوجد مخلوق عنده نعمة التفكير، نعمة الإرادة، نعمة الابتكار مثل الإنسان. لا يوجد كائن عنده نعمة العبادة، والتوصل لله مثل الإنسان .لذلك ربنا جعل الإنسان هو كاهن الخليقة، وشفيع الخليقة، قد سمح الله أن يكون الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يخلد ليبقى إلى الأبد .لكي يكون شريك للمجد مع ربنا. لذلك ميزه الله بعطايا كثيرة وجزيلة جدًا. ونستطيع القول بأن كل الخليقة قد صنعها الله من أجل الإنسان مثل البحر والسماء والمطر والأسماك والطيور والزرع والحيوانات والدبابات والزحافات. كل هذا قد خلقه الله لخدمة الإنسان. وقد جعل الله الإنسان تاج للخليقة كلها .

هذا الإعداد كله يبين لنا كيف يكون الإنسان موضع حب، واشتياق، وتقدير الله. كما يقول الله: "وَلَذَّاتِي مَعَ بَنِي آدَمَ." (أم٨: ٣١).
وعندما خلق الله الإنسان يقول: "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا." (تك١: ٣١).
الله أعطى للإنسان من مجده لدرجة أنه يقول إن مجد الله في الإنسان. مجد الله في الخليقة فربنا سمح يا أحبائي أن يكون الإنسان هو النائب عن الخليقة كلها أمام الله. وكأن الله يريد أن يقول: هذا شفيعي، وهذا صوتي. عندما يحب الله أن يجعل الخليقة كلها تسبحه يجعل الإنسان هو الذي يسبحه، يجعل الإنسان ينوب عن الحيوانات، والطيور، والزحافات، والطبيعة، والبَرَد، والنور، والظلمة، والسحاب وكل الخليقة العاقلة وغير العاقلة، والمخلوقات، وحتى سائر الموجودات كلها فقد سمح الله أن يكون الإنسان النائب عنها.
النفس التي نخدمها مكرمة جدًا في عين الله. لدينا مشكلة وهي إننا عندما نجد أشخاص وأعداد كثيرة نخدمها فإننا أحيانا نهمل قليلًا الفرد. وفي الحقيقة يوجد قول: (إن خدمة الأعداد الكبيرة قد أفقدتنا أعداد كبيرة). الله يريد أن يقول لك: إني أرى الإنسان في عيني، إنه مُكرم جدًا، يقول: "إِذْ صِرْتَ عَزِيزًا فِي عَيْنَيَّ مُكَرَّمًا، وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ" (إش٤٣: ٤)، "دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي" (إش٤٣: ١).
أنا أعرف كل واحد منكم باسمه، كل واحد له صفات، حيث إنك عندما تنظر إلى الخليقة كلها لا تجد إثنين متشابهين. إذا كانت تعداد الخليقة حوالي ٧ أو ٨ مليار لا تجد إثنين صوتهم واحد، ولا تجد إثنين أعينهم واحدة ولا تجد إثنين بصماتهم واحدة ولا ملامحهم واحدة. ما هذا الجمال؟ هل أنت يارب ترسم الإنسان وتُبدع لتمييزه؟ لكي أبين له كيف أن كل واحد فيهم له تميز، له كرامة، ولا يأتي صدفة، ولا يأتي ختم (Stamp) وأيضا كل واحد له ملامحه الخاصة، حتى التوأم المتماثل نجد أنهم دائما ليسوا متشابهين في كل شيء. الله يجعل إبداعه في الإنسان.
لذلك يا أحبائي يا لها من كرامة للإنسان الذي نخدمه.
إذا أردنا التحدث عن الخدمة الفردية يجب علينا أن نعرف قيمة الفرد، ويجب أن نعرف أنه مُميز، ومحبوب، وله كرامة كبيرة في عين الله. عندما وجد الله أن الإنسان قد سقط سعى إليه. والله منذ بداية الخليقة كلها يبين اعتنائه بكل فرد. فقد قال الله لأبونا آدم: "أَيْنَ أَنْتَ؟" تك٣: ٩. ويكلم قايين عن هابيل ويقول له:" أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟" (تك٤: ٩)
الله ساعي لخلاص كل إنسان. ففي العهد القديم نجد الله تكلم مع موسى بطريقة فردية، وتكلم مع أرميا بطريقة فردية، وأعتنى بالثلاثة فتية، كما أعتنى بإيليا وقت ضعفه.
الله يا أحبائي تراءى للإنسان في كل الظروف. أعتنى بساره عندما أخذها فرعون لنفسه ودافع عنها، أعتنى بسارة عندما أخذها أبيمالك بأن ظهر له في حلم ودافع عنها وعن أبونا إبراهيم. هل أنت يارب تهتم بكل هذه التفاصيل الصغيرة؟ نعم أنا أهتم بإبراهيم، واسحق، ويعقوب، وصموئيل، وداود، وشاول. ويبين الله لكل إنسان كيف هو مُكرم ومميز عند الله، وكيف أن الله يحفظ أتقيائه. لذلك أريد أن أقول: عندما نقرأ الكتاب المقدس فإننا نجد أن الكتاب المقدس هو قصة الله مع الإنسان منذ بداية وجود الإنسان في الفردوس حتى رده مرة أخرى إلى الفردوس في سفر الرؤيا.

نجد الكتاب المقدس كله يحكي عن معاملات الله مع الإنسان لكن تتعجب عندما تجد أن الكتاب المقدس يركز على الإنسان أي أنه عندما تقرأ أسفار الكتاب المقدس تجد قصة طويله لداود، ولصموئيل، ولموسى، ولإرميا، ولحزقيال، ولدانيال.
الله يريد أن يقول: أنا أعمل من خلال الإنسان، أنا أقبل صفات الإنسان، أقبل حتى ضعفات الإنسان لذلك يوم ان أخلص الإنسان فسوف آتى في شكل إنسان. وأقول: إن نسل المرأة يسحق رأس الحية.
لقد اعتنى الله بالإنسان كرأس للخليقة. في الكتاب المقدس قصة الله مع الإنسان لكن الحديث معظمه عن الإنسان، الله يتعامل مع الإنسان. ولم يُخفي الكتاب المقدس ضعفات ولا زيغان ولا تصرفات الإنسان مهما كانت مُخجلة، مهما كانت مشينة.
أبونا إبراهيم يقول عن ساره امرأته إنها أخته، موسى يقول: أنا لساني ثقيل، إيليا مرة يهرب ويختبيء. الله يأتي بكل ضعفات الإنسان ويحولها للبر. لذلك أتى الله في شكل إنسان.
فالإنسان مُكرم جدًا عند الله، له كرامة، له تميز عند الله جدًا، وقد حول الإنسان إلى هيكل فقال: (أنتم هيكل الله) "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟" (١كو٣: ١٦).
وعندما يسكن الله فإنه يسكن في الإنسان، وعندما يتمجد الله يتمجد في الإنسان لدرجة أن أحد القديسين وهو القديس باسيليوس يقول: "نفسي هي هيكل الله، وقلبي هو المذبح، وعقلي هو الكاهن الذي يقوم بشرف هذه الخدمة". أي أن جسدي كله هيكل وقلبي هو المذبح وعقلي هو الكاهن. الإنسان مُكرم في عين الله، مقبول جدًا عند الله، لدرجة أنه يقول إن الإنسان له كرامة عند الله، يمكن أن يكون أكثر من الهيكل، أكثر من مجد هيكل سليمان. هيكل سليمان الذي فيه ذهب وفضة وأحجار قال الله: الإنسان أغلى من كل هذا. عندما يختبئ إيليا يقول له: "وَقَدْ أَمَرْتُ الْغِرْبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ". (١مل١٧: ٤). لا تخف توجد سيدة هناك سأجعلها تهتم بك، يجب أن أبلغ صوتي إلى كل إنسان، ولن أترك الإنسان يهلك أبدًا.
يقول أحد الآباء القديسين: "أنت يا الله ليس عندك خسارة إلا هلاك الإنسان."
أكبر خسارة عند الله (وإن كان لا يليق أن نقول عن الله أن عنده خسارة، ولكن إن كانت هناك خسارة عند الله فتكون هي هلاك الإنسان). لذلك عندما وجد الإنسان يهلك قال: لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبي ائتمنته على خلاصنا بل أنت بغير استحالة تجسدت وتأنست وشابهتنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها. أنت أتيت إلينا لتفدي الإنسان.
"أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى." (يو١٣: ١).
وفي إشعياء يقول: "هُوَذَا عَلَى كَفَّيَّ نَقَشْتُكِ. أَسْوَارُكِ أَمَامِي دَائِمًا." (إش٤٩: ١٦).
إن نسيت الأم رضيعها: "«هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسَيْنَ، وَأَنَا لاَ أَنْسَاكِ." (إش٤٩: ١٥).
إنهم أولادي، موضع رعايتي، موضع محبتي، أنا أعتني بهم، وأبحث عنهم، وأفتش عنهم، وأردهم.
ترى العجب في قصة يونان النبي. الله يريد خلاص الغير مؤمنين ويريده أن يذهب ويقول له: نادي لأهل نينوى، وعندما يذهب ينادي الله يرجع ويهتم بيونان نفسه عندما وجده قد أُحبط وتضايق. الله يهتم بالكل حتى إذا كان الإنسان لم يطلب الخلاص فالله يسعى إليه. الله يدبر سُبُل الخلاص، الله يفتش عن الإنسان وهو الّذى يفعل كُلَّ شيء في كُلِّ أحد، هُو الساقي كُلَّ الخليقة مِنَ نعمتِهِ. يا لها من كرامة للإنسان. فكل إنسان يا أحبائي له مكان في حضن الله، كل إنسان موضع عناية من الله، وكل إنسان له كرامة عند الله

لِذلِك أحبائي إنْ أدركنا هذا الحب، هذه القيمة عندما نخدم أولادنا المخدومين فتكون لهم كرامة في أعيننا كبيرة جدًا، وتأتي هذه الكرامة من الكرامة في عين خالقهم، في عين الله نفسه. من يخدم مخدوميه وهو يراهم بنظرة المسيح، بنظرة الله الذي يهتم بكل أحد. فإن نظرتنا للمخدومين سوف تختلف تمامًا وسوف نشعر كم هم مكرمين في عين الله. إذا يجب على أنا أيضًا أن أهتم بهم. "مَاذَا يُعْمَلُ لِرَجُل يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ؟" (أس٦: ٦).

إذا كان سيد الخليقة كلها يعتني بأولاده بهذه الدرجة أفلا نهتم نحن بهم؟، لذلك يا أحبائي يجب أن نهتم بهم. الإهمال في قيمة النفس، عدم السعي وراء النفس علامة خطرة في خدمتنا.

عندنا قائمة للمخدومين تُسمى مفقودين (لا يأتوا، ولا يتجاوبوا، نفتقدهم ولا يحضروا، نتواصل معهم فلا يستجيبوا. هؤلاء المفقودين قال عنهم: أترك التسعة والتسعين. أي منطق يقول هذا؟ أن يترك التسعة والتسعين. إنه المنطق الإلهي. إذا حسبتها بحسابات التجارة لا. إذا فُقد أحد من التسعة والتسعين فإن التسعة والتسعين أهم. لكن عند الله لا فهذا الواحد مهم. لدرجة أن القديس يوحنا ذهبي الفم يقول: "إن هلاك واحد عندي كهلاك مدينة". ألهذه الدرجة يهتم؟ نعم فقد تأنى الله على شعبه وأطعمهم المن والسلوى ورافقهم بعمود النار، وبعمود السحاب، حتى إذا لم تكن لديهم إرادة ويرفضون لكن لم تزل يده مبسوطة. عندما يشتكوا في أنفسهم، ويشيعوا مذمة أرض الميعاد ويكون عندهم مجموعة واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة، وعملوا مؤامرة وأرادوا أن يعودوا مرة أخرى إلى مصر. وهنا كان من المفروض أن يمنع الله المن. ولكنه استمر في العطاء لأنه يريد خلاصهم. لهذا الحد يعتني الله بالإنسان؟ نعم لذلك يقول: "لَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ" (٢مل١٣: ٢٣).

في عزرا الكاهن يقول: "أنت بار يارب في كُلَّ ما قَدْ أتى عليَّ أنت قَدْ جازيتنا أقل مِنَ آثامنا". فكثيرًا ما يظهر الله في الكتاب المقدس كأب مُعتني بأولاده. وكثيرًا ما يسعى لخلاصهم، يهتم جدًا بهم، ومسؤول عنهم. النفس عند الله غالية جدًا. الله بسماحه وصلاحه سمح لنا بأن نكون خدام، أقامنا وائتمننا على أولاده.

القديس كيرلس يقول: "أنت يا الله من كثرة صلاحك احتملت أن نكون لك خدام".

فإن كان الله بصلاحه أقامنا خدام هل يصح أن نكون نحن غير أمناء؟ الله يقول لك: اعتني بأولادي، فهم جسمي، وأعضائي، ولهم الكرامة من كرامتي.

القديس يوحنا ذهبي الفم يقول: "المسيح بدونكم محروم من أعضائه". أي إنني إذا كان لدى اجتماع أو خادم مسؤول عن٥٠ أو٣٠ ولد ثم حضر١٠ ولم يحضر٢٠ فكأن أعضاء المسيح نفسها غير موجودة، وهذه مسؤولية خطيرة.

ذهبي الفم يقول: إنّ التقرُب بنَفْسَ واحِدة أمام الله أكثر كرامة مِنَ التقرُب بِجميع القرابين. يجب أن نبحث ونهتم أكثر بالذين نهملهم، الذين حُسبوا أنهم قد فُقدوا. فإن هذه أمام الله لها كرامة كبيرة جدًا. إذا سعيت لعمل شيء لإنسان واحد ونفس واحدة فهذه النفس لها كرامة عند الله.

وهذه تصل بنا إلى العنصر الثاني فقد رأينا هذا عمليًا في خدمة ربنا يسوع المسيح.

ثانياً: في خدمة ربنا يسوع المسيح.

كان يهتم بخلاص كل واحد بينما كانت الجموع تزدحم عليه بينما يقول: "وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ هُنَاكَ." (مت١٩: ٢). وبينما كان في بيت يقول: "حتى كان بعضهم يدوس بعضا" (لو١٢: ١).

في وسط كل هذا الزحام كان الله يعطي اهتمامات بخاصة، وبأفراد، وبمجموعات صغيرة مختلفة الميول يرعاها ويقودها ليصنع منها قادة ومبشرين. كان يمكن لله في وسط كل هذه الجموع ان يكون ليس لديه وقت للأفراد. لكننا وجدناه يركز أيضًا على الأفراد ويقول عن تلاميذه أنه كان يحب كثيرًا أن ينفرد بهم، ويعطيهم دروس وكأنها دروس خاصه. وكثيرا ما كان الله لا ينسى في وسط المجموعات الكبيرة أن يهتم بالواحد. يذهب إلى شخص بعينه ويقول له باسمه: "يَا زَكَّا، أَسْرِعْ وَانْزِلْ، لأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ" (لو١٩: ٥).

اليوم أريد أن أخدمك أنت خدمة فردية. ومن كثرة حبه للنفس البشرية حتى أنه في وسط المجموعات الكثيرة يرى شخص واحد فقط، وقال له: هيا أنا منتظرك أنت، فقد تكون منسيًا من الناس أو مُهمل منهم أو أنهم يرون أنك شخص لا يوجد أمل منك ولكني أرى ما بداخلك، وأرى إنك إناء جميل هيا يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ.

"فَأَسْرَعَ وَنَزَلَ وَقَبِلَهُ فَرِحًا" (لو١٩: ٦). ورأينا التغيير الذي حدث في حياة زكا بأن قال له: "هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضًا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ" (لو١٩: ٨- ٩). ألهذه الدرجة في وسط المجموعة يوجد شخص غالي عليك يارب؟ وتريد أن تعتني به؟ يجيب الله بنعم.

يقول عن شخص (نيقوديموس) الذي أتى إليه ليلًا، وهو مُعلم من معلمين اليهود وواحد من أعضاء مجمع السنهدريم، وله وقار كبير. تحدث معه يسوع المسيح ليلة كاملة عن الميلاد من فوق يعلمه، ويسهر معه، ويصبر عليه. وقد كانت طريقة حوار نيقوديموس طريقة عقلانية بقوله: "كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟" (يو٣: ٤). واستمر السيد المسيح يشرح له. الله يهتم بقيمة الفرد جدًا.

ويقال في التاريخ الكنسي: أن نيقوديموس صار أسقفًا بعد ربنا يسوع المسيح.

كل شخص غالي عند الله الله يسعى إليه. الله أعطانا منهج الاهتمام بالفرد وقد أعطانا الله منهج الافتقاد للاهتمام بالفرد، نجده يظهر للتلاميذ مجتمعين ليشددهم، لم يكن توما موجودًا معهم، فأتى إلى توما وحده. هل تأتي إلى وحدي يارب وسط المجموعة فأنا لا أستحق، أنت تعلم إني أشك ولا أصدق، قال له الله: "ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: «هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا." (يو٢٠: ٢٧). يخدم كل نفس حسب احتياجها، في الأوقات التي تناسبها.

ثالثاً: تطبيق عملي في خدمتنا:

يجب أن نهتم بهذه التطبيقات. يجلس مع التلاميذ، ويتكلم مع بطرس.

"فَبَعْدَ مَا تَغَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ" (يو٢١: ١٥). أي أن الله يختار الوقت الذي يتكلم فيه، لم يعاتبه بل قال له: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟" (يو٢١: ١٧). أنت يارب تهتم بتوما، وبالمجدلية، وببطرس، وبالسبع تلاميذ، بتلميذي عمواس الذين ذهبوا ولكي يذهبوا لمدينتهم وفي تشكيك وفي حرب وفي قلق وفي خوف. قال لهم: لن أترككم تتشتتوا. يجلس معهم، ويكسر الخبز، وتنفتح أعينهما ويتعرفوا عليه. وطبعًا الحدث الذي نعرفه كلنا وهو ذهابه لمقابلة امرأة قد أغلقت قلبها عليه، وتضع حواجز في الحدود (السامرية) "أَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ" (يو٤: ٩). أنت رجل وأنا امرأة فتريد أن تقول له: أنه لا ينفع الحديث معها أصلًا. "فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَعْطِينِي لأَشْرَبَ" (يو٤: ٧). وبدأ يتودد إليها حتى فتح

قلبها وحولها إلى كارزه. هذه خدمة النفس الواحدة لأنه يري فيها شيء جميل، يراها إنسانة كارزه، إنسانة رائعة تجاوبت مع عمل النعمة وجاءت بثمر كثير.

الله يا أحبائي يريد أن يقول لنا: إن الإهمال في النفس هو إهمال في عطية الله، وإهمال في الوزنات التي يعطيها لنا الله. نتعجب عندما يقول: "وَكَانَ لاَ بُدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّامِرَةَ." (يو٤: ٤). أي أنه كان يلزم عليه أن يقابل هذه السيدة. والعجيب أن الكتاب المقدس يقول: "وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ" (يو٤: ٦). أي في فترة الظهيرة التي فيها يتجنب كل الناس هذا التوقيت، الساعة ١٢ ظهرًا. وكانت المرأة تذهب في ذلك الوقت بسبب الحالة التي كانت فيها في ذلك الوقت. الله يا أحبائي ينتظر كل إنسان ويسعى خلف كل إنسان. هيا نتعلم هذا الحب. الله يذهب إلى موائد العشارين، وموائد الفريسيين ويأكل معهم ويتودد إليهم، وفي وسط كل هذا يصطاد المرأة الخاطئة، ويتكلم مع سمعان، وفي وسط كل هذا يريد أن يغير إنسان واحد. عندما يركز الشخص على النفس الواحدة يفرح جدًا.

الله يهتم بالفريسي الذي دعاه في بيت الخاطئة، ويهتم بالخاطئة، ويريد أن يقول لكل أحد المثل الذي يناسبه فقال لسمعان: "كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعًا. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟ فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ: «أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ. فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ" (لو٧: ٤١- ٤٣).

هل يارب كل هذا لكي تقنع شخص واحد فقط؟ نعم لأنه مهم جدًا. ممكن أن أحدًا يقول إنه مضيعة للوقت لكن ليس كذلك.

المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل: كان يمكن أن يقول إنها ستسبب لي الحرج، أنها مخطئة وتستحق الرجم ولكنه يدافع عنها لأنه متأكد من أنه عندما يدافع عن هذه المرأة ويعلن حق الله وأن حق الدينونة للديان ويقول لها: " أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟ فَقَالَتْ: لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا " (يو٨: ١١- ١٢). حررها وفكها من هذه القيود وأنقذها من ماضيها الرديء. هو متأكد أن هذه المرأة سوف تتحول وستتغير وستصبح إنسانة جديدة. ما أجمل خدمة الله واهتمامه بكل إنسان وطول أناته والفئة الصعبة التي خدم في وسطها. يُعرف اليهود بالمكر والالتواء والخبث والدهاء والطرق الملتوية لكن ربنا يسوع المسيح قصد أن يكون في وسط هذه المجتمعات الكثيرة الخداع ليعلن مجده في وسطهم لكي يجذبهم من مرارة شرهم وينقلهم من الظلمة إلى النور ومن الضعف إلى القوة. هذا هو عمل الله. لذلك يا أحبائي عندما جاء الله لهذه البشرية لكي يقول لنا جميعًا: ولا أنا أدينك اذهب بسلام. حب غير محدود لكل نفس بشرية. كما نقول في صلاة الستار: أنا المضبوط بالخطايا من يطفئ لهيب النار عني؟ فقد جاء الله من أجل هذه الفئة. جاء لكي يشفي نازفة الدم، من أجل الأعمى، والمفلوج، والمرأة المنحنية، ابن الأرملة، ومن أجل غلام قائد المئة. كلهم أفراد. وتلاحظ أن هناك أشخاص جاءوا إلى يسوع، أشخاص أحضروهم إلى يسوع، أشخاص يسوع ذهب إليهم لأنه هو ساعي إلى خلاص كل أحد وليس فقط يهتم بالأفراد ولكن يهتم بالمجموعة كلها لكي يعطيه كرامة لكي يرده إلى محبته الأولي. "أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى" (يو١٣: ١).

لدرجة أن أحد القديسين يقول: أنا متأكد أن اسمي مكتوب على خشبة الصليب.

يقول معلمنا بولس الرسول: "الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غل٢: ٢٠).

محبه خاصه جدًا لدرجه أن ذهبي الفم يقول: إني متأكد أنه لو لم يوجد في العالم سواي لأتى ابن الله لأجلي. نعم كان سيأتي من أجلي أنا. قيمة النفس غالية جدًا عند الله، يعتني الله بكل إنسان، يسعى الله لكل إنسان حتى المتردد، الذي يشك، حتى البعيد.

رأينا كيف يهتم معلمنا بولس الرسول بخدمته، يرسل في رسالة روميه سلام إلى كل أحد باسمه. (سلم على فلان، سلم على فلانه) ويعطي كل واحد لقب.

رأيناه يعتني بأنسيموس العبد السارق ويقدم له ضمانات لكي يرده مره أخرى. يا لها من كرامة كبيرة جدًا.

تكلمنا: عن قيمة النفس عمومًا في عين الله، في خدمة ربنا يسوع المسيح، تطبيق عملي في خدمتنا.

أول شيء أن أعرف قيمة كل إنسان: أن كل نفس غالية عند الله، كل نفس لها كرامة، أني سوف أُحاسب عنهم، وأنه لابد وأن أكون نائبًا عن كل شخص منهم.

التدريب الأول: أول تدريب عملي: أرجو منك أن تشعر بقيمة النفوس التي تخدمها في عين ربنا يسوع المسيح.

- تدريب عملي مهم: إنّ التقرُب بنَفْسَ واحِدة أمام الله أكثر كرامة مِنَ التقرُب بِجميع القرابين.
- اكتب كشف بأسماء أولادك وضعه أمامك، ضعه في أجبيتك، ضعه في قداسات على المذبح. أذكرهم كل شخص بالاسم.
- أول شيء ماهي قيمة كل نفس عندك؟ كم تعطيها من كرامة؟ يجب أن تكون مُكرمة في عينك من كرامة عين المسيح.

التدريب الثاني: أعرف ظروف كل أحد، أعرف من فيهم من بيئة، ومن ظروف شخصيه، ومن دراسة، ومن مشكله معينه. أعرف من فيهم يتيم، من فيهم مريض، من فيهم له احتياج، من منطوي، من خجول، ومن فيهم جريء. أي إن تعرف ظروف كل إنسان.

من الصعب جدًا أن نخدم أي إنسان لا نعرف ظروفه، ولا نعرف بيته، ولا إخوته. جميل جدًا أن نهتم جدًا بظروف كل إنسان.

التدريب الثالث: اعرف كيف تتكلم: هناك وقت للكلام ووقت للصمت (للسكوت). الكلام في التوبيخ الآن من الممكن أن يأتي بنتيجة عكسية كما أن كلام التشجيع الآن أيضا قد يأتي بنتيجة عكسية. إذا هناك وقت للتوبيخ ووقت للتشجيع.

كما يقول القديسين: يجب عليك أن تعلم متى تعطي الدواء. توجد أدوية حاره لأمراض باردة فعندما يكون عنده روماتيزم، جزء به برد فإنهم يعطوه دواء يعمل حرارة، يعطوه مرهم لتجميع الدم ليجعل هذا الجزء ساخن جدًا جدًا. هذا دواء حار لمرض بارد والعكس عندما يكون المرض حار تعطيه الدواء بارد. فمثلا عندما يصطدم أحد بشيء فإنك تعمل له كمادات مياه مثلجه فهذا دواء بارد لمرض حار. ويوجد أيضا دواء حار لمرض بارد. كل شخص يجب أن تعلم ماذا تعطيه ومتى وكيف تتحدث معه. كان الرب يسوع يرى أن بطرس مُحبط جدًا، ويائس جدًا فتحدث معه بمنتهى اللطف وقال له: أتحبني؟

ربنا يسوع مع تلميذي عمواس كلمهم بمنتهى الحب، لما ظهر للعشر تلاميذ عندما كانوا مجتمعين لم يوبخهم ولكن التمس لهم أعذار. جميل أن أعرف ظروف كل إنسان.

التدريب الرابع: يجب أن أكون مكتشف للمواهب والسمات الشخصية وأن أجتهد في توظيفها.
يجب أن أعلم هذا الولد مميز في أي شيء؟ ويجب أن أفهم ملكاته، إلى أي شيء يميل؟
من خلال ملكات الأولاد، من خلال خدمتي لهم، ومعرفتي بهم أستطيع أن أخدمهم بشكل أفضل. كوني أكون في دنيا أخرى وفي مكان عالي جدًا وبعيدًا عن مفاهيمهم، احتياجاتهم فهذا يجعلني أخدم من برج عالي. بل يجب على أن أقترب منه، وأعرف مواهبه، إمكانياته، ملكاته وأحاول توظيفها.
التدريب الخامس: يجب أن يشعر كل صبي وكل فتاة تخدمها بشيئين مهمين جدًا:
أ- يشعر بحب خاص عملي جدًا.
ب-بقبول خاص جدًا.
القبول يعني: أنه أحياناً لا يكون عند الصبي ثقة في نفسه أو عنده عيب معين وأنه يري نفسه أقل من باقي الأولاد، ودرجاته ضعيفة وآخر ظروفه المادية صعبة وآخر ظروفه الفكرية ضعيفة وآخر لديه إعاقة معينة. كل شخص منهم يجب أن يشعر بحب وقبول. وعندما يكبر قليلًا يجب عليك أن تعطيه دور وحب وقبول.
هؤلاء الثلاثة هم المغناطيس الذي يريدنا الرب يسوع أن نعطيهم للناس: حب شخصي جدًا لكل شخص.
حب مميز: "دعوتك باسمك" (إش٤٣: ١). لشخص قبول بضعفه، بصفاته، بمشاكله، بهمومه، بكل ما فيه. وأبحث من خلال معرفتي بمواهبه.
لذلك يا أحبائي الخدمة الفردية، الاهتمام بالأفراد تنشئ جيل رائع.
تخيل إنك باهتمامك بهؤلاء الأفراد سوف تُخرج خدام رائعين شعروا بحب، بقبول، لذلك يجب علينا أن نعلم أن هذا من صميم أمانتنا. ثم نقطة خطيرة جدًا وهي اهتمامي بهذا الصبي لكي يخلص. كيف أدفعه للتوبة، لأب اعتراف، للمذبح، أقرأ معه إنجيل من فصل أرشدني الله إليه بأنه مناسب لهذه النفس. يوجد فصل مناسب له إذا كان يائس، فصل مناسب إذا كان مستهتر، فصل مناسب إذا كان لا يبالي، فصل إذا كان لا يعرف. فصل مناسب لكل حال. الله يعطيني الكلمة التي تدفعه للأمام.
كثيرًا ما يكون لدينا أولاد منتظرين محبه من الله من خلالنا، منتظرين كلمه من الله من خلالنا. تخيل أن الله يريد أن يتكلم بواسطتنا، يخدم بنا، يعلن حبه بنا. الجلسة الفردية والكلام الفردي له تأثير قوي جدًا. حاول أن تقول كلمتين في مجموعة، تقول نفس الكلمتين لفرد. إذا قلت لشخص: "هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ." (يو٣: ١٦). ومع إبني هذا أقول: هكذا أحب الله فلان (مينا أو مايكل أو بيتر)
"هكَذَا أَحَبَّ اللهُ (مينا أو مايكل أو بيتر) حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ".
يحبك لدرجة بذل ابنه عنك. أنت ترى نفسك سيئ لكن هو يحبك. هل ترى صورة يسوع المصلوب الذي يفتح ذراعيه لك أنت؟ أعطيك صورة ليسوع واكتب تحتها من أجلي أنا فلان. من بداية التعامل معه كفرد سوف تشعر أن الله قد تكلم في قلبه. كثيرًا ما نستكثر وقتنا على فرد، كثيرًا ما نعتبر أن خدمتنا الأهم هي خدمة المجموعات، وكلما زادت المجموعات نكون مسرورين وهذا شيء جيد لكن لا نفعل هذا ونترك تلك. بينما أنت تهتم بالمجموعات لابد أيضًا أن تهتم بالأفراد. اجلس مع شخص واحد فقط وعندما يشعر الشخص الذي أمامك بالافتقاد، ويشعر بهذا الحب والاهتمام فإنه يشعر بمدى حب الكنيسة له. عندما تفتقد الشاب في المنزل فإنه يشعر أن الكنيسة تأتي إليه، يشعر بقيمة، وبحب.

نحن أيضًا عندما نفتقد أولادنا يجب أن يكون في ذهننا ثلاث كلمات: أن المسيح يحبك، والكنيسة تحبك، ونحن إخوتك نحبك.

ماذا تعني كلمه افتقاد؟ أي أننا قد افتقدناك، أنت نقصت منا، كأننا فقدنا شيئًا.

معنى آخر للافتقاد:

تحتفظ بهم أمام عينيك، تضعهم كلهم أمامك، Keep all of them in front of you.

هذا هو الافتقاد. إننا للأسف نجد خدام لا يعرفوا أسماء أولادهم ولا عناوينهم ولا يعرف كشف أسماء الأولاد الذين يخدمهم. يجب أن يكون معك كشف واضح بأسماء وعناوين وتليفونات الأولاد، تزور، تتصل، تهتم. هؤلاء الأطفال غاليين جدًا عند ربنا. إذا كان مندوبي المبيعات والدواء يقولون إنه يجب عليك عمل زيارة كل اسبوع، وكل شهر، وتحقيق هدف Target، أليس باستطاعتنا فعل ذلك؟

ما رأيك في أن تعمل رسالة يومية واتصال اسبوعي وزيارة شهرية مع كل مخدوم؟

هناك جزء خطير: أننا نفتقد فقط الذين لا يحضروا. الذين يحضرون أيضًا يحتاجون إلى الافتقاد يحتاج أيضًا أن يشعر بأنه محبوب، ومهم، وغالي.

الله يا أحبائي عندما ائتمنا على خدمة ائتمنا على مسئولية ويريد أن يأخذ منها ثمر مُفرح وأقول له: "هأَنَذَا وَالأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمُ الرَّبُّ" (إش٨: ١٨).

يارب الذين ائتمنني عليهم هم أولادك وأنا أقدمهم لك. أنا واقف أقدم لك عطاياك.

آخر شيء أقرأ الأعداد التي قرأتها معك منذ البداية من سفر حزقيال إصحاح ٣٤

"كَمَا يَفْتَقِدُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ يَوْمَ يَكُونُ فِي وَسْطِ غَنَمِهِ الْمُشَتَّتَةِ، هكَذَا أَفْتَقِدُ غَنَمِي وَأُخَلِّصُهَا مِنْ جَمِيعِ الأَمَاكِنِ الَّتِي تَشَتَّتَتْ إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْغَيْمِ وَالضَّبَابِ. وَأُخْرِجُهَا مِنَ الشُّعُوبِ وَأَجْمَعُهَا مِنَ الأَرَاضِي، وَآتِي بِهَا إِلَى أَرْضِهَا وَأَرْعَاهَا عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ وَفِي الأَوْدِيَةِ وَفِي جَمِيعِ مَسَاكِنِ الأَرْضِ. أَرْعَاهَا فِي مَرْعًى جَيِّدٍ، وَيَكُونُ مَرَاحُهَا عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الْعَالِيَةِ. هُنَالِكَ تَرْبُضُ فِي مَرَاحٍ حَسَنٍ، وَفِي مَرْعًى دَسِمٍ يَرْعَوْنَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ. أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، وَأَرْعَاهَا بِعَدْلٍ. مجدًا للثالوث الأقدس" (حز٣٤: ١٢- ١٦).

وقد تحدثنا في ثلاث نقاط:

قيمه النفس بعين الله، قيمه النفس في خدمة ربنا يسوع، تطبيقات عمليه لخدمتنا.

ربنا يعطينا خدمه مقبولة لديه، نهتم بأعضاء جسده، يكمل نقائصنا ويسند كل ضعف فينا.

ولإلهنا الْمَجْد الدائم مِنْ الْآنَ وإلَىّ الْأَبَد أمين